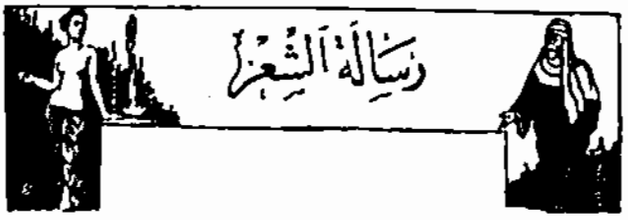

قصة واقعية

دميـــة (١)

« إلى روح الطفلة فوزية »

للاستاذ إبراهيم العريض

مدت لها الأم راحتيها ... كأنها صورة الحنان
صبية عرشها الحنايا ... ما جاوزت دولة الثمان
خفيفة الظل ، ذات زهو ... تنمس في جفنها الأماني
ما أنضر الروض في صباها ... وكل ما فيه وردتان
عالمها - لو ترى - صغير ... لكن لها فيه ألف شان
تعقد أعراسها ، فتاتي ... ماشئت في العرس من أغان
بلا معان . . وإنما السحر ... كله حيث لا معان
تسمعها دمية . . جلتها ... والعرس معقولة اللسان
كحلاء . ترنو لها بصمت ... إذا استقلت بها اليدان
تفتح العين لاستماع ... وتغمض العين بعد آن
تجد في حبها وتلهو ... فالجد واللهو توأمان
حتى إذا رنقت عيناه ... مال بها النوم في ثوان
بين يديها الحياة حلم ... فهي من الليل في أمان

• • •

جاءت إلى الأم ذات صبح ... فطوقتها براحتين
وبادلتها بقبلة — لم ... تجاوز الثغر — قبلتين
«أماه ! ما بال خالتي لا ... تأتي به كي تقر عيني
أود أن أرتديه حالا ... فإن للعرس جلستين
فإن تعادت في الضحكتين ... فاريح مجنونة ، وأخشى
- ضحكتها تعبر الصحاري ... كأنها ثورة الحنين
وضحكة . . والنخيل توحي ... برأسها ؛ بينها وبيني -
أخشى . . على دميتي أذاها ... وما أحق الدمى بصون
قالت : «دعيني بنيتي ! في ... أشعة الشمس غمضتين
فالبرد في لذعه شديد ... بل أنا منه في شدتين
فربما احتاج نظرة تو ... بك الموشي ، أو نظرتين
وعدك ألا يحين وقت الـ ... صلاة حتى أفي بدينى
فتمرحي من صباك بضا ... بين الصبايا بحلتين

• • •

ما أدبر الظهر في ارتماش ... كأنه مدره وقور
حتى أنت كالمهار تعدو ... لأمها تغرها ينير
« أماه ، أماه ، طالعيني ... في بخنقي ، إنه كبير
ألا يرى شكله جميلا ... على في الريح إذ يطير ؟»
قالت لها : «لبسة الموالي ! ... عشت كما شئت الزهور»
ها هي تختال في المذاري ... بحلة يلتقي بها السرور
ودمية الجلبس في يديها ... قد لفها البخنق الصغير
لا تسمع الأذن حيث زفت ... غير زغاريد ، يا طيور !
أو تبصر العين حيث حلت ... إلا جنانا فالحور حور
حتى إذا الأفق حال ورداً ... وماج فوق الخضم نور
كأنه ضحكة المرايا ... في يد حسناء تستخير
وجاء يعدو بموكب الليل ... - يمدها - الكوكب المنير
عادت إلى البيت ، كل خود ... تود لو أنها الأخير

• • •

وسوت الأم مهدها في ... ركن ، وعادت إلى الحنيه
فأبصرتها ، وفي يديها ... دميتها ، لم تزل أبيه
فالتفتت نحوها ، وقالت : ... «ألا تكفين يا سبيه ؟
كفاك طول النهار لعباً ... هيا إلى النوم كالبقيه»
أواه ما أرخص الغوالي ... عند الذي يجهل القضيه
فلملمت ذيلها امتثالا ... وضاحكت أمها تقيه
«أماه ! هل تسمحين لي أن ... أنام في بخنقي الشبيه
فدميتي لن تنام إلا ... معي هنا ، إنها حبيبه
لقد قضينا النهار أرجي ... لها ، فنزجي لي التحيه
إني لأرجو لها ، كما قد ... ترجو ، من النوم لي هنيه
والبرد يسري إلى عظامي ... كأنه البرد ذاب فيه

---

(١) ولمت حوادث هذه القصة المؤلمة في البحرين ليلة الأربعاء ٧ فبراير ١٩٥٠ . عندما شب حريق . . أخذت تتلاعب بوهجه الريح . . فاتم اعطاء ألسنه إلى جسد شق الأنفس ثم . . »

فدثرينا مما من الليل ، هي مثلي تخشى دجيه
يا دميتي! أنت ذات عرش فلا تجوري على الرعيه..»

• • •

وداعب النوم جفنها فى لمح، فكفت عن منتجاها
وأنزلتها الأحلام ، فى زو رق، من الخلد فى رباها
فأبصرت نفسها توالى فى جنة سيرها شداها
فتحتها العشب حيث داست فتح نواره وتاها
وفوقها الورق كل ورقاء ذوبت نغمة حشاها
وحفها الورد .. كل ورد ينفح فى ردنه شذاها
وخرخر النهر من بعيد يحمى على شله خطاها
وحلقت حولها الذات من كل لحلاء فى صباها
كأنهـــا النرجس الندى تكاد تاقى لها نداها
يجذبها تارة ، وأخرى يدفعن فى جنبها سواها
حتى تراءت . وثغرها فى افتراره ، معلن رؤاها
وأين عنهن من رعنها حبابجب .. لم لا تراها
فضمت الدمية التى لم تزل إلى جنبها ، يداها

• • •

وظلت الريح من قريب تسمعها نوحة الثكالى
كأنها فى الركاب شخص ثار على الحق ، فاستطالا
أرسل للفتك خيله . فهو لا ينى يطلب النزالا
تلهب بالسوط ظهر بيت يأبى لها ركنه امتثالا
وعاود الحـــلم جفنها ثا نيا ، فتاهت فى الحلم حالا
فأدركت نفسها على شا طئ ، وأمواجه تلالا
وكلما أومضت لهـــا بر قة ، همى غيثها انهطالا
ولم يكن مزنه كماء ال سماء، بل كاللظى اشتعالا
حتى دنت لجة ، وكادت تمضى بها .. قصفها تعالى
وغام فى وجهها ضباب يخنق أنفاسها سعالا
فأفلتت من يمينها عر سها ، فألقت لها الشمالا
واستفزعت أمها بصوت من ظمأ جف واستحالا
فاكتنفتها «روح» أحست فى حضنها الدف والظلالا

• • •

دوى مع الريح صوت ناع قد طعن الليل فى سكونه
فالأم إذ تستفز ، تاقى من أرضه على جبينه
وهالها أن ترى لساناً قد سله الموت من كمينه
يلحس أطراف كل شىء فى البيت من سقفه لطينه
حتى غدا البيت فى اظلام كنقطة النون وسط نونه
فالريح نار ... فى وجهتيه والنار ريح ... على متونه
غلغل فى ثوبها ، ولما يسر إلى الرأس فى قرونه
وبادرت للرضيع ولمى بمسكة العقل فى جنونه
واختطفته نوا أنجرى به على النار ، أم يدونه ؟
وتدفع الباب دفعة ، غا درته محنى على عرينه
للريح فى سمعهـــا دوى كنكسة الطفل فى أنينه
وأبصرت حولها رجالاً كل يدارى على قرينه
تقولوات : « أدركوا فتاتى ياغصتها اللدن فى أتونها! »

• • •

واحتملوها فى غشوة ، لم تطل على البرد غير ساعه
فاسترجعت وعيها ، لتاقى رضيعها باسطاً ذراعه
يلتمس الثدى فوق صدر وكلما مسـه أضاعه
فاحتضنته بلا شعـور قد جدت عينها ضراعه
كم سمعت باسمها ينادى فانتفضت . لو لها استطاعه
فما استبانت إلا وجوهاً يذرى عليها اللظى قناعه
وقال من قال « إنها قد نجت ! » ولم تنتظر سماعه
فساءلت « أين خلفوها ؟ من ذا رآها من الجماعه؟
فوزيتى .. ليتنى فداها ألا كريم يعـد باعه
لحلها ، فاللهيب يعمى أخشى على عينها شعاعه
وكم أرادت ـ وما أرادت ـ تنعى على عمرها ضياعه
لولا نساء حسر ، لديها ناشدتها الصبر والقناعه
رحولها الخلق فى هياج يبدون سمعاً لها وطاعه

• • •

وصعد الناس ـ بعد حبس ـ أنفاسهم ، إذ خبا الشرار
ظلوا إلى الصبح فى انتظار والآن لا ينفع انتظار
وأقبلوا يبحثون خبطاً فالطين والماء حيث داروا
فلم يكد ـ بعدهم ـ لبيب يدور للبحث حيث داروا
وزحزحت كفه سياجاً ما زال للجمر فيه ثار
حتى اعترت جسمه قشعريـ ـرة ، ودارت به الديار
فقض من طرفه ارتياعاً يا هول ما غيب القبار!
لقد رأى تحتـــه فتاة جلاها فى الردى الوقار
قد مست النار حاجبيها ولم تمس اليدين نار